الفصل الأول

مذهب السلف في العقيدة

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف السلف لغة واصطلاحا وذكر بعض ألقاب السلف.

المبحث الثاني : مصادر العقيدة عند السلف.

المبحث الثالث : منهج السلف في إثبات العقيدة.

المبحث الأول

مفهوم السلف في اللغة والاصطلاح

أولاً : مفهوم السلف في اللغة :

قال ابن فارس: «(سلف) السين واللام والفاء أصل يدل على تقدُم وسبق ومن ذلك، السلف الذين مضوا والقوم السلاف المتقدمون»[(١)].

وقال بن منظور: «وللسلف معنيان آخران:

أحدهما : أن كل شيء قدّمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه فهو له سلف.

الثاني : الذي يتقدم الإنسان من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السن»[(٢)].

وقال الفيروز أبادي: «والشيء سَلفاً بحركة مضى وفلان سلفاً وسلوفا، تقدم، وكل عمل صالح قدمته أو فرطٍ فرط لك وكل من تقدم من آبائك وقرابتك»[(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٢ / ٩٥).

(٢) لسان العرب (٦ / ٣٣١) بتصرف.

(٣) القاموس المحيط (١٠٦٠).

وبناء على ما سبق أن معنى السلف في اللغة يدُل على التقدم والسبق سواءً كان ذلك بتقدم زمني كتقدم الآباء وذوي القرابة وغيرهم على من يأتي من بعدهم من الأبناء وسائر الأقارب أو كان ذلك بتقدم العمل الصالح الذي يقدمه العبد بين يديه لأجل ثواب الآخرة.

ثانيا : مفهوم السلف في الاصطلاح :

يدور مفهوم السلف في الاصطلاح على معنيين :[1]

الاول : السلفية الزمنية

الثاني : السلفية المنهجية

أما السلفية الزمنية : فتطلق على المجموعة المتقدمة من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معينة وقد اختلف الناس في تحديد هذه الفترة التاريخية على أقوال أشهرها :

١- أن المراد بالسلف هم الصحابة فقط.

٢- أن المراد بالسلف هم الصحابة والتابعون وبه قال أبو حامد الغزالي

[1] : انظر منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ، جابر إدريس ـ رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية ، ط الأولى أضواء السلف ١٤١٩ هـ (١ / ٣٥ ـ ٣٦).

٣- أن المراد بالسلف هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وهو قول جمهور أهل العلم وهو الراجح ويدل عليه قول النبي ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** ... الحديث»[١].

فقد مَدَح الرسول ﷺ قرن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وشهد لهم بالخيرية. وكذلك نص على هذا القول غير واحد من المحققين.

قال الإمام السفاريني ـ رحمة الله ـ: «والمراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهِد له بالإمامة وعُرِف بعظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفٌ عن سلف»[٢].

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا نعرف أن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم وهو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها دون تحريف لها ولا تأويل»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٧ / ٢) في فضائل الصحابة، حديث رقم (٣٦٥٠) وأخرجه مسلم (٤ / ١٩٦٣) في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٥٣٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية، السفاريني (١/ ٢٠).

(٣) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص ٧.

أما السلفية المنهجية فالمقصود بها :

هو المنهج الذي سار عليه السلف الصالح من القرون المفضلة من اتباع الكتاب والسنة وفهمهما الفهم الصحيح غير المشوب بشائبة البدع والهوى وكل من اقتدى بهم وسار على دربهم فهو على منهجهم ولهذا يطلق على من انتسب إلى هذا المنهج «سلفي».

وقد أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً معروفاً في هذا العصر يطلق على طريقة الرعيل الأول وعلى من يقتدي بهم في تلقي العلم وطريقة فهمه

أما سبب التسمية :

فظاهر من العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للسلف يقول ابن الأثير:

«وسلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته **ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح**»[1].

ثم أطلق هذا الاسم على من سار على منهج الصدر الأول في التلقي والاستدلال.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري (٢ / ٣٩٠).

ألقاب أطلقها العلماء على من سار على هذا المنهج منها:

١- أهل السنة والجماعة :

وهذا من الألقاب المشهورة التي عرف بها من يتبع السلف الصالح. وأما لفظ السنة فأطلق بعد افتراق الفرق ونشوء البدع وتشعب الأهواء فيقال: «فُلان على سُنة إذا عمل على وفق ما عمل به النبي ﷺ»[١].

«وأما الجماعةُ هي الاجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس المجتمعين»[٢]. وإذا اجتمع لفظ السنة مع الجماعة وقيل أهل السنة والجماعة كان المراد بها **«سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»**[٣].

٢- أهل الحديث أو أهل الأثر:

والمقصود بأهل الحديث الذين يعنون بحديث رسول الله ﷺ روايةً ودراية ويبذلون جُهدهم في دراسته واتباع ما جاءت به الأحاديث علماً وعملاً.

---

(١) الموافقات للشاطبي (٤ / ٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيميه (٣ / ١٥٧).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للهراس (٢٢).

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: «ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً واتباعه باطناً وظاهراً»[١].

٣- الطائفة المنصورة:

الطائفة المنصورة هي مجموعة من أهل السنة والجماعة **تجتمع فيها أسباب النصر المعنوية والمادية** وقد ورد ذكرها في الأحاديث الصحيحة كما جاء في الصحيحين «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من كذبهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[٢].

٤- الفرقة الناجية:

أطلق على من اتبع السلف الصالح **قولاً وعملاً** لقب الفرقة الناجية لورودها في حديث الافتراق حيث جاء في الحديث «... **وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا**

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيميه (٤ / ٩١-٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨ / ١٨٩) في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ برقم (٧٤٦٠) ومسلم (٣ / ١٥٢٤) في الإنارة برقم (١٧٤) باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال: **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[1]

وهكذا نلاحظ أن هذه الألقاب والأسماء التي أطلقت على من يتبع منهج الصحابة والتابعين في الاعتقاد والسلوك. مصطلحات مترادفة.

(١) أخرجه الترمذي (٥ / ٢٦) في كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق الأمة برقم (٢٦٤١) وهو حديث حسن بشواهده، انظر صفة الغرباء لسلمان العودة: (٢٨ ـ ٢٩).

المبحث الثاني

مصادر العقيدة عند السلف

اعتمد السلف الصالح في تقرير مسائل الاعتقاد على الوحي الشرعي واعتصموا به في كل أمور دينهم **فمصدر العقيدة عندهم الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع السلف الصالح.**

أولاً : الكتاب الكريم :

حيث أنزل الله هذا القرآن بلغة العرب على رسول عربي ففهموا عن الله ما أراد منهم، وما احتاج إلى بيان بينه لهم رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤) فأخذوا عقيدتهم الصافية عنه ولم يتكلفوا التأويل ولا الخوض فيما لا فائدة فيه وكانت العقيدة وقضاياها واضحة في القرآن ولهذا فإن المسائل التي سأل عنها الصحابة أو أُشكِلت عليهم في قضايا العقيدة قليلة، لما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ .. ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا آينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ : **«ليس هو كما تضنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:**

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣][1].

وهذا لبس في الفهم لقضايا غامضة، لكننا لم نجد أحداً من الصحابة بل لم يثبت ذلك عنهم أن واحداً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو نحو ذلك من مسائل العقيدة المتعلقة بذات الله سبحانه والتي خاض فيها المتأخرون وما ذاك إلا لفهمهم لها وما دلت عليه من معانٍ تليق به سبحانه، فكانوا يؤمنون بها ويعتقدون ما دلت عليه ويدعونه سبحانه بها[2].

ثانياً: السنة الصحيحة:

وهذا هو المصدر الثاني من مصادر العقيدة عند السلف وهو اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة في تقرير مسائل الاعتقاد، وقد اعتنوا عناية كبيرة جداً بالسنة النبوية لتمييز صحيحها من ضعيفها حتى لا يستدلوا إلا بالصحيح منها، واستدلالهم بالسنة في مسائل العقيدة يأتي تكميلاً لاستدلالهم بالقرآن، وخاصةً أن السنة جاءت مُفصِلة للقرآن ومُبينة له فجمعوا بين

---

(١) أخرجه مسلم (١ / ١٠٧) في الإيمان باب صدق الإيمان برقم (١٩٨) من حديث عبد الله بن مسعود. وأخرجه البخاري بنحوه في الإيمان برقم (٣٢) انظر فتح الباري (١ / ٨٧).

(٢) انظر اللباب في شرح العقيدة، د/ إبراهيم قريبي ـ دار الجيل صنعاء ط ١٤١٣ هـ.

الأدلة **وهذه ميزة** من ميزات منهج السلف الصالح في الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

والميزة الثانية : هي أنهم يحتجون بكل ما صَحّ من السنة من الأحاديث سواء كانت متواترة أو آحاد في مسائل الاعتقاد إذ الكل وحيٌ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

الثالث : إجماع السلف الصالح :

وهذا هو المصدر الثالث من مصادر العقيدة عند السلف **فإجماع السلف الصالح عندهم حُجة في الاعتقاد والأحكام** وخاصة إجماع الصحابة رضي الله عنهم الذين سَلِموا في دينهم من الشبهات ورضي الله عنهم ورضوا عنه، **وسبيلهم هو سبيل المؤمنين** الذي حذر الله من مخالفته كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ ﴾ [النساء: ١١٥] **وهذه المصادر** الثلاثة هي التي تؤخذ منها العقيدة عند السلف. وهي مصادر مضبوطة ومحفوظة، ولهذا كان من أعظم ثمرات الالتزام بها الوحدة العقدية والفكرية عند السلف والتوافق في الأحكام والتشابه في المواقف رغم تباعد الأقطار والبلدان، على مدى الأزمان.

المبحث الثالث

منهج السلف الصالح في إثبات العقيدة:

من أعظم النعم التي أنعم الله بها على السلف الصالح اعتصامهم بالكتاب والسنة واحتجاجهم بها في جميع أمور الدين أصولاً وفروعاً ومن أبرز القواعد العظيمة عند السلف الصالح في إثبات العقيدة ما يلي:

١) اعتمادهم على نصوص الكتاب والسنة في إثبات العقيدة. بحيث لا يقبلون من أحد قط أن يعارض القرآن والسنة الصحيحة لا برأي ولا ذوق ولا قياس ولا معقول، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض صحيح المنقول بعقل أو رأي[١].

وهذا الأصل الذي اعتمد عليه السلف صار من ثماره انعدام التنازع بينهم في مسائل الاعتقاد. قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وقد تنازع الصحابة ﷺ في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيميه (١٣ / ٢٨).

كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمةً واحدة من أولهم إلى آخرهم..»[١].

٢) اتفق السلف على الاحتجاج بصحيح السنة في مسائل الاعتقاد كما يحتجون بها في مسائل الأحكام العملية لا فرق في ذلك عندهم بين الأحاديث المتواترة وأحاديث الآحاد.

قال محمد بن الحسن الشيباني ـ رحمه الله ـ (ت ١٨٩ هـ): «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ـ عز وجل ـ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه»[٢].

ونقل الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ الإجماع على قبول خبر الواحد في العقائد.

٣) اتفق السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ على أن الرسول ﷺ قد بين ما أنزل إليه من ربه بياناً شافياً قاطعاً للعذر وخاصة بما يتعلق بأصول الدين ومسائله معترفين أن الرسول ﷺ قد امتثل أمر ربه في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة: ٦٧] ومقتضى هذا

---

(١) أعلام الموقعين (١ / ٤٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للأمام اللالكائي: (٢ / ٤٣٢ ـ ٤٣٣).

البيان والتبليغ وجوب الاقتصار على ما جاء عن النبيﷺ في سائر مسائل الدين أصوله وفروعه.

ولهذا حُمى جناب الدين من محدثات الأمور ولهذا سلموا من الابتداع في الدين واعتصموا بالكتاب والسنة فسلمت عقيدتهم من التحريف والتبديل، أو الشوائب التي أصيبت بها عقائد المنحرفين عن هذا السبيل.

٤) ومع أن أصلهم العظيم الذي يعتمدون عليه في إثبات العقيدة هو النقل إلا أنهم لم يهملوا العقل، بل يستدلون على مسائل الاعتقاد أيضا بصريح المعقول الموافق لصحيح المنقول.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية وهو يبين الدليل الشرعي: «ثم الدليل الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً فإن كون الدليل شرعياً يراد به:

١) كون الشرع أثبته ودل عليه.

٢) ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه.

فإذا أريد بالشرع ما أثبته الشرع فإما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً ولكن الشرع نبّه عليه ودل عليه فيكون شرعياً عقلياً، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة على توحيده وصدق رسوله وإثبات

صفاته وعلى المعاد فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل وهي براهين ومقاييس عقلية وهي مع ذلك شرعية»[١].

٥) ومع هذه المكانة التي يعطيها أهل السنة للعقل إلا أنهم يجعلونه تابعاً للنقل فإذا تعارض لديهم النقل مع العقل قدموا النقل على أنه لا يمكن أن يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح كما أثبت ذلك شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ[٢].

(١) درء تعارض العقل والنقل: (١ / ١٩٦).

(٢) ألف شيخ الإسلام بن تيمية كتابه القيم درء تعارض العقل والنقل بين فيه الحجج الواهية التي اعتمد عليها المتكلمون في ردهم لصفات الله سبحانه بحجة أن العقل لا يثبتها والكتاب قيم في بابه وقد طبع بتحقيق محمد رشاد سالم في أربع مجلدات ونشرته جامعة الأمام بالرياض عام ١٤٠٠ هـ.